الفصل الثالث

في تسمية الناصرية

obeikandl.com

obeikandl.com

«الناصرية هي الانتماء العلمي لمصر. الناصرية هي الوطنية العملية السوية، هي الوطنية الحميدة في التطبيق..

باختصار وتلخيص نهائي إن الناصرية هي المصرية كما ينبغي أن تكون، أي المصرية كما ينبغي أن تكون المصرية. وأنت مصري إذن أنت ناصري، ولو كرهت ولو كره الكافرون، إلا إذا كنت غير مصري أو ضد ـ مصري!.

وكلنا ناصريون حتى لو لم ندْرِ أو لم نقبل وفعلًا «كلنا جمال عبد الناصر» كما قال هو مرارًا، حتى ولو انفصلنا عنه أو رفضناه كشخص أو كإنجاز، وكل حاكم بعد عبد الناصر لا يملك أن يخرج على الناصرية ولو أراد، إلا وخرج عن المصرية، أي كان خائنًا، وهذا فعلًا ما فعل الخائن السادات وتابعه مبارك. والنتيجة أنك إذا كنت ضد ناصري (لا ضد ناصر) فكنت ضد مصر، أي خائن لمصر أي خائن وطن، أي فاشي أعظم أو أحقر.

الناصرية هي بوصلة مصر الطبيعية..».

د. جمال حمدان[14]

(14) من كتاب «د. جمال حمدان ولمحات من مذكراته الخاصة». عالم الكتب 2010.

الناصرية هي نهج جمال عبد الناصر.

الناصرية هي التيار الوطني الثوري الذي حمل لواءه جمال عبد الناصر.

الناصرية هي فكر وطريق جمال عبد الناصر من أجل تحقيق أهداف النضال العربي المعاصر في تحرير الوطن وحرية المواطن، والكفاية في الإنتاج والعدل في التوزيع، وتوحيد الأمة (الحرية ـ الاشتراكية ـ الوحدة).

الناصرية نسبة إلى جمال عبد الناصر القائد العملي والنظري لثورة 23 يوليو 1952 ، وهي ليست فحسب المبادئ الستة التي أعلنت عند قيام الثورة، وكتاب «فلسفة الثورة» في مرحلة مبكرة، وإن كانت تبدأ بهما، وهي ليست فحسب «الميثاق» (دليل العمل الوطني) الذي قدم في 21 مايو 1962 وإن كان «الميثاق» هو أعظم وثائقها الفكرية، إلى جانب «بيان 30 مارس»[15] الذي أعلن في ذلك التاريخ من عام 1968 ، وهو بحق (الميثاق في المعركة).

إن الناصرية فكريًا، ونضاليًا، هي ما انتهى إليه جمال عبد الناصر، وهي ما يمكن أن يضيفه أبناء «الثورة الناصرية» في أية مرحلة، وفي أية قضية، ما دام لا يتعارض مع الجوهر والأساس والمبدأ في (ناصرية: جمال عبد الناصر).

إن الشباب الذي انتمى إلى نهج جمال عبد الناصر (الفكر والطريق) في أعقاب رحيله المباغت في 28 سبتمبر 1970 ، اختار مبكرًا آنذاك تعبير واصطلاح (الناصرية) عما عداه، وفي اعتقادنا إن ذلك لم يصدر عن مجرد موقف وجداني عاطفي تجاه هذا القائد، الذي أحب من قلبه الشعب المصري ـ العربي والإنسانية، وتفانى حتى الاستشهاد في سبيل قضية «بيت سعيد لكل أسرة» ـ على حد تعبيره المشهور ـ ودنيا جديدة تليق بالإنسان، فأحبه من القلب الشعب والإنسانية.

---

(15) قدم البيان في أعقاب أزمة وصدمة يونيو 1967، في خضم حرب الاستنزاف المجيدة، كجولة جديدة تتأهب لجولة الاقتحام والعبور والتحرير، التي خطط لها وأعد وعبأ أثناء حرب الاستنزاف: مع قائد الثورة، رياض وفوزي وعلي فهمي والشاذلي.. وغيرهم من القيادات في السلاح والسياسة والدبلوماسية والاقتصاد والثقافة وفي غير ذلك من مجالات.

وهو قائد جدير بذلك الموقف الوجداني وقد عبرت عنه الملايين مرارًا بلا حصر، بوضوح وجلاء بلا لبس، ليس فحسب وهو فارس منتصر وبطل يحرر ويحرز، بل وهو في كبوة ويخسر معركة، وليس فحسب في حياته بل أيضًا عند رحيله في مشهد وداع مهيب يظل مثالًا فريدًا مدهشًا في التاريخ الإنساني بأسره.

لكن ليس في تقديرنا، ذلك الموقف الوجداني الصادق الذي يستحقه القائد، هو مبعث اختيار جموع الشباب منذ بدايات سبعينيات القرن العشرين - إثر استشهاد الرجل في ذروة نضاله واستبساله - ومن دون أدنى تردد، لتعبير واصطلاح: (الناصرية).

إن السبب الرئيسي لدينا هو تمييز هذه الجموع من الشباب - بنقائهم وتجردهم - ما بين خط ونهج جمال عبد الناصر وفكره ونضاليته، وممارسات لبعض العناصر في إطار تجربة ثورة 23 يوليو على مدار ثمانية عشر عامًا (1952 - 1970).

(فتجربة يوليو) كأية تجربة إنسانية، شابها بعض ما كنا نتمنى ألا يشوبها، وإن كان قسم منه لم يكن منه بد أو لم يكن ممكنًا تفاديه، إلى جانب قسم كان بالإمكان تفاديه على نحو أو آخر.

ولم يعرف تاريخ قادة الثورات وزعماء الشعوب وحكام الأمم - إلا نادرًا جدًا - قائدًا وزعيمًا وحاكمًا مثل جمال عبد الناصر، لم يكن يتردد للحظة - في أي وقت أو موقف - في تقديم النقد الذاتي، وهي القيمة التي أكدها بوضوح لا مزيد عليه «الميثاق» وغيره من وثائق يوليو الناصرية.

وفي ذلك يقول بحق، صديقه الفكري محمد حسنين هيكل:

> «أحسب أن جمال عبد الناصر هو واحد من القلائل الكبار في عالمنا وعصرنا الذين واتتهم الشجاعة لكي يقفوا أمام الملايين يتحدثون بأمانة ورجولة عن التجربة والخطأ»[16].

(16) مقاله الأسبوعي «بصراحة». بعنوان «عبد الناصر ليس أسطورة» «الأهرام» 1970/11/6.

وكما يقول أيضًا ـ في أول مقال له عقب بيان 30 مارس 1968 ـ عن النظام الثوري بقيادة جمال عبد الناصر:

«إنه نظام يملك من الشجاعة قدرًا كبيرًا... إنه أقل من غيره من النظم في كل بلدان العالم النامي، في حساب الأخطاء والانحرافات، وهو أكثر من غيره من النظم في كل بلدان العالم النامي، في حساب المتحققات والمنجزات، ومع ذلك فهو أعلى الكل في نقد نفسه، وفي التقويم، وفي التصحيح... لا يداري بالسكوت ولا يعتذر بالظروف العصيبة!»[17].

وقد شهدت مصر عبد الناصر على سبيل المثال بعد نكسة يونيو 1967 موجة من أكبر موجات النقد والنقد الذاتي وشملت كل شيء وشارك فيها وشجع عليها جمال عبد الناصر.

وشهدت (تجربة ـ ملحمة يوليو) في كل مراحلها موجات أخرى مماثلة، فهي ثورة كانت تصحح مساراتها، وتعثراتها، أولاً بأول، ويعني ذلك كله بالطبع أنه كان لثورة يوليو تجربةً وممارسةً، إلى جانب الميزات والمنجزات العملاقة، نواقص وتجاوزات لا يمكن ولا يجب إنكارها.

وقد أدرك شباب نهج جمال عبد الناصر (فكره وطريقه) في أعقاب صعوده إلى رحاب ربه، أن تجاوزات وممارسات معينة مرفوضة ارتبطت بعناصر ورجال في تجربة يوليو، وأنها على غير رغبة أو طبيعة جمال عبد الناصر القائد والإنسان، وليست في صميم خطه ونهجه، وبينها تجاوزات أو انتهاكات لأجهزة وعناصر (عوقب صلاح نصر مثلًا في عهد جمال عبد الناصر وليس بعده!)، وإن كان ـ للإنصاف والموضوعية ـ قد جرى تهويل كثير ومبالغات بلا حدود، في شأن تلك التجاوزات، خاصة في ظل حملة مسعورة، أطلقها وشجع عليها بإلحاح انقلاب القوى المضادة للثورة الذي تزعمه السادات، وهي الحملة التي بدأت تلميحًا بعد اعتقالات 15 مايو

(17) مقاله الأسبوعي «بصراحة». بعنوان «الثورات الأربع... والنيل الهادئ» ـ «الأهرام» 1968/4/5.

1971 ، وانطلقت تصريحًا ابتداءً من عام 1974 (عام الانقلاب الكامل الشامل على اتساع كل المجالات)، وقد استمرت الحملة على امتداد «أيام السادات». عهده الذي بدأ باعتقالات 15 مايو 1971 ، وانتهى باعتقالات 5 سبتمبر 1981 (وجاء مصرعه إثرها وأثناءها بعد شهر في «6 أكتوبر»).

إن اختيار جموع الشباب المنتمي إلى نهج جمال عبد الناصر لتعبير واصطلاح «الناصرية»، كعنوان لهم وانتماء سياسي ـ أيديولوجي، لينضووا تحت لوائه، وليناضلوا في ظل رايته، في مواجهة الثورة المضادة وقواها وسلطتها... ذلك الاختيار كان يحمل في تقديرنا أمرين أساسيين، إلى جانب أية مشاعر محبة واعتداد، تجاه صاحب الاسم:

الأمر الأول: هو وعيهم الكامل المرهف بأن جمال عبد الناصر ليس فحسب القائد الحقيقي للثورة منذ البدء، وللتنظيم (الضباط الأحرار) الذي فجرها، إنما هو أيضًا يمثل (خلاصة الإيجابي) ـ خلاصة السديد المتجرد، والموضوعي العلمي ـ في مسيرة الثورة ومسارها طول الوقت.

الأمر الثاني: هو أنهم باختيارهم لتعبير واصطلاح (الناصرية) ـ وليس (اليوليوية) مثلًا ـ يشاركون القائد نفسه والمخلصين للثورة في كل مراحلها: من حيث توجيه النقد لجوانب أو عناصر في (تجربة وممارسات يوليو: 1952 ـ 1970). فاختيار تسمية «الناصرية» يتضمن في ذاته نقدًا لأشياء في «يوليو»، قد لا تكون كثيرة، وبالتأكيد قد بولغ فيها ورَوج لها خصوم الثورة باستمرار وحتى الآن... لكن بالتأكيد أيضًا، فإنه رغم كل شيء، هناك أخطاء حقيقية موجودة.

نعم، أقر جمال عبد الناصر بمسئوليته فيها، وهو أول من قدم نقدًا ذاتيًا بشأنها، لكن يظل من المتيقن كذلك أن «ناصر» هو الأكثر نبلًا ونقاءً في الملحمة كلها (و«أكثر الرجال اكتمالًا» على حد الوصف الذي قيل في جيفارا إثر استشهاده).

وهذا هو ما آمنت به الجماهير المصرية ـ العربية بحسها الصافي الصادق، وعبرت عنه بقوة في «9 و 10 يونيو» وفي «الخرطوم» بعد النكسة، وفي «28 سبتمبر»

عند الرحيل، ولم تكف عن أن ترفع صوره وتلهج باسمه تعبيرًا جميلًا عن التقدير والاعتداد والامتنان، من قبل ذلك، ومن بعد حتى «25 يناير 2011»، و«30 يونيو 2013»، وما بينهما، طول الوقت.. إلى الآن. أي على مدار ـ وبعد مرور ـ أكثر من أربعين عامًا بعد الرحيل!.

وكان موقف الشباب المنتمين لنهج جمال عبد الناصر امتدادًا عضويًا لموقف هذه الجماهير، وإحساسها وما وقر في ضميرها.

ولذلك فإنهم اختاروا على الفور من غير حيرة أو تردد أو مفاضلة، هم والدفعات التي أعقبتهم من أجيال ما بعد السبعينيات وانتمت إلى النهج نفسه، في مصر وكل أنحاء الوطن العربي:

تسمية: (الناصرية).

وأطلقوا على أنفسهم: (الناصريون).

بل وأيدهم في اختيار التسمية رواد من أجيال سابقة مثل المناضل الصلب التاريخي وأحد قادة ثورة يوليو الكبار كمال رفعت، الذي سرعان ما دعم طليعة شباب السبعينيات «الناصريين» بكتاب عام 1976، عنوانه واضح معبر له دلالته، فضلًا عن المضمون المتعمق والرؤية الشاملة.

كتاب عنوانه: « ناصريون؟ .. نعم».

وفي تلك الآونة ذاتها، كتب كمال رفعت كلمة على الغلاف الأخير بالكتاب بالغ الأهمية ذائع الصيت «الوعي المفقود»[18] كتب رفعت، قارئًا الواقع الحاضر، مستشرفًا المستقبل في آن:

«كان خروج الطلائع الثورية في الجيش ليلة 23 يوليو سنة 1952 بداية مرحلة جديدة من مراحل كفاح الشعب، عبرت عن تلاحم الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية.

(18) (عن دار القاهرة للثقافة العربية عام 1975)، للكاتب الموسوعي الناصري محمد عودة، (وكان الكتاب ردًا على توفيق الحكيم ـ بل دفاعًا عن الشرف السياسي والثقافي لمصر وفق عبارة مؤلفه).

obeikandi.com

إن ثورة يوليو نقطة تحول.. ولكنها تظل استمرارًا لثورات مصر ومقدمة لثورات أجيال قادمة.. وهي طليعة لثورة كل العرب ودعامة لثورة التحرر الوطني المعاصر».

مثال لمزيد من الإيضاح:

في (إطار يوليو) مثلًا تؤاخذ «اليوليوية» ـ إذا جاز التعبير ـ على خطأ بل خطيئة إعدام العاملين «خميس، والبقري» في أحداث «كفر الدوار» في بداية الثورة، بينما جمال عبد الناصر (الناصرية) وقف بوضوح وجلاء ضد اتخاذ ذلك الإجراء مهما كانت المبررات، ووقف إلى جانبه مع الأسف الشديد أقلية في «مجلس قيادة الثورة» كخالد محيي الدين، الذي يظهر بنفسه في الفيلم التسجيلي الجاد الجيد للمخرجة القديرة عرب لطفي بعنوان «اللعب بالديمقراطية» (عام 2005)، فنراه يقول: (.. بل أجلس جمال عبد الناصر إلى جواره زكريا محيي الدين ليؤكد عليه التصويت معه ضد القرار بالإعدام!)[19].. في شأن هذه الواقعة، وشهادة المفكر المناضل الكبير أمين عز الدين بالغة الأهمية والقيمة فيها أيضًا، ضمن فصول كتاب عبد اللّه إمام «الناصرية وتحديات العصر»، وخاصة حول الدور الذي لعبه عبد المنعم عبد الرؤوف ـ المنتمي «لجماعة الإخوان» ـ في الدفع نحو اتخاذ ذلك القرار، وكذلك اللواء محمد نجيب مع الأسف الشديد على عكس ما ادعى اللواء في مذكراته!.

هذا مثال واحد، على أن «الناصرية» لا تطابق بالضرورة «اليوليوية» في كل الحالات، ولم يكن ذلك في الفترة الأولى فقط (أي التي أدار فيها العمل واضطلع بالمسئولية «مجلس قيادة الثورة» ومعه نجيب).

من هنا: حدثت اختلافات كثيرة، بين رؤية جمال عبد الناصر (الناصرية) وعدد من زملائه، بل على مدار الثمانية عشر عامًا من الثورة (من عبد المنعم عبد الرؤوف

(19) انظر أيضًا (الكتاب المرجع المشهور ـ متعدد الأجزاء ـ لأحمد حمروش «قصة ثورة 23 يوليو»).

وآخرين، مرورًا بكمال الدين حسين والبغدادي وغيرهما، إلى عبد الحكيم عامر وغيره!).

ذلك مجرد مثال لتوضيح القصد والفكرة.

هكذا - كما سبق قولنا - اختارت الأجيال المنتمية إلى هذا الفكر والطريق والنهج، تسمية (الناصرية)، وأطلقوا على أنفسهم: «الناصريون».

ومع ذلك، فما زال البعض يقول لهم في نوع من سفسطة أو تنطع: لماذا ارتباط التسمية بشخص؟! .. لماذا «الشخصنة»؟!

والطريف أن بعض أولئك ينتمون إلى تيارات ارتبطت تسمياتها بأشخاص.. من أول يساريين بدأ تاريخهم (بماركس - والماركسية) ثم (لينين - واللينية)، و(تروتسكي - والتروتسكية) أو (ماو - والماوية)، وغيرها... إلى ليبراليين ارتبط تاريخهم في أنضج أحوالهم وأشرفها (بديجول - والديجولية)!... وصولًا إلى منتمين للتيار السياسي الإسلامي يمتد تاريخهم من (محمد بن عبد الوهاب - والوهابية)، مرورًا (بسيد قطب - والقطبية)، وصولًا - أو نزولًا - في آخر الطريق، وفي أقصى انحداره أو منتهى انحطاطه إلى شيء يدعى (حازم - وحازمون)!.

يبقى أن نستمع إلى علم وحكمة العالم المفكر جمال حمدان.. نصغى ونعي، ننتبه مع كل كلمة وحرف، وليس فحسب نستمتع بأسلوب راقٍ لأديب فذ.

يقول د. حمدان في الكتاب الذي يحوي جانبًا مهمًا قيمًا من «مذكراته الخاصة»[20]:

> «عبد الناصر هو أول حاكم أو زعيم مصري يكتشف جوهر شخصية مصر السياسية ووضع يده على صيغة السياسة الخارجية لمصر كما ينبغي في التخطيط السياسي الأمثل. لم يخترعها بالطبع،

(20) د. جمال حمدان. من كتاب: «العلامة الدكتور جمال حمدان ولمحات من مذكراته الخاصة» - إعداد وتقديم د.عبد الحميد صالح حمدان - عالم الكتب - القاهرة 2010 «ص16 .19»

ولا كان هو أول من شخصها وتعرف عليها نظريًا ، ولكنه كان أول من بلورها فكريًا إلى حد ما ثم طبقها عمليًا إلى أقصى حد ، ونقلها من الفكر السياسي أو السياسة النظرية والنظرية السياسية إلى التطبيق السياسي أو السياسة التطبيقية ، ومن هنا كان أول ـ وللأسف آخر ـ حاكم أو زعيم مصري «جغرافي» ، أي عرف وطبق جغرافية مصر السياسية كما ينبغي أن تكون ، ولا تنس أن دوائره الثلاث هي صيغة جغرافية (تصوغ) خريطة جيوبوليتيكية أصيلة.

عبد الناصر في جوهره هو محرر «مسودة» **draft** للمستقبل. بروفة ، تجربة ، مجرد بداية لا نهاية. المسألة ببساطة هي أن الناصرية هي الانتماء العملي لمصر ، الناصرية هي الوطنية العملية السوية ، هي الوطنية الحميدة في التطبيق **benign**.. هي أصول جغرافية مصر السياسية في التطبيق العملي. ولذلك لا يمكن لأي حاكم مصري إلا أن يكون جغرافي مصر السياسي التطبيقي وإن لم يدر أو يرد.

«باختصار وتلخيص نهائي إن الناصرية هي المصرية كما ينبغي أن تكون ، أي المصرية كما ينبغي أن تكون المصرية. وأنت مصري إذن أنت ناصري ، ولو كرهت ولو كره الكافرون ، إلا إذا كنت غير مصري أو ضد ـ مصري!.

وكلنا ناصريون حتى لو لم ندر أو لم نقبل وفعلًا «كلنا جمال عبد الناصر» كما قال هو مرارًا ، حتى ولو انفصلنا عنه أو رفضناه كشخص أو كإنجاز ، وكل حاكم بعد عبد الناصر لا يملك أن يخرج على الناصرية ولو أراد ، إلا وخرج عن المصرية ، أي كان خائنًا ، وهذا فعلًا ما فعل الخائن السادات وتابعه مبارك. والنتيجة أنك إذا كنت ضد ناصري (لا ضد ناصر) فكنت ضد مصر ، أي خائن لمصر أي خائن وطن ، أي فاشي أعظم أو أحقر.

ويمكن لكل مصري (وهذا حقه المطلق) أن يرفض عبد الناصر، ولكنه لا يستطيع أن يرفض الناصرية إلا وكان رافضًا لمصريته، فأنت لا تستطيع أن تهرب من الناصرية، فهي قدر مصر رغم أنفك أو رغبتك، ببساطة لأنها بوصلة مصر وقبلة مصر.

«الناصرية هي «بوصلة مصر الطبيعية»، وكل مصري طموح يريد صالح مصر قوية عزيزة غنية مستقلة (بكل ما يعني ويتطلب هذا داخليًا وخارجيًا، بما في ذلك فلسطين/إسرائيل، العرب، العالم... إلخ) هو ناصري قبل الناصرية وبعدها وبدونها..».

obeikandl.com